



فضل الصلاة

الصلاة كما قلت عند الكلام على أركان الإسلام صلة وثيقة بين العبد وربّه ، فهي عبادة من أعظم العبادات ، وقربة من أعظم القربات ، لاشتمالها على قراءة القرآن والتسبيح والتحميد والتكبير وسائر أنواع الذكر ؛ ولأن العبد يظهر فيها من كمال الخضوع والتمسكن والتواضع لخالقه ومولاه أكثر مما يظهره في عبادة أخرى . وهي بمثابة عهد يجده العبد مع خالقه في اليوم واللييلة عدة مرات .

فكلما نادى المنادى : حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، أقبل العبد على ربه ملبياً هذا النداء العظيم في رغبة ورهبة ، يعلو وجهه الخشوع والخضوع لله الذي خلقه وسواه ، فيقف في محرابه بسكينة ووقار لتأدية هذه الفريضة التي تعتبر الحد الفاصل بين المسلم والكافر والبار والفاجر ، والتي هي من الإسلام بمنزلة الرأس من الجسد .

والصلاة - أيتها الأخت الفاضلة - نور يتلأأ في قلب المؤمن ، ويسطع على وجهه ، وينعكس على جوارحه ، نور يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ، نور يمشى به المؤمن في الناس ، فيرى به ما لا يراه الناظرون ، نور يسعى بين يديه وعن يمينه يوم القيامة .

قال رسول الله ﷺ : «الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن - أو تملأ - ما بين السماوات والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو ، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها» . رواه مسلم .

والصلاة التي يقبل العبد فيها على ربه بقلب خالص ، ويؤديها كما ينبغي تكفر الذنوب وتمحو الخطايا ، وترفع الدرجات .

قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرُ لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود : ١١٤] .

والمراد بالحسنات - هنا - الصلوات الخمس .

والمراد بالسيئات : الصغائر .

بدليل قوله ﷺ : «الصلوة الخمس ، والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر» . رواه مسلم

ويشبه النبي ﷺ الصلاة في محوها الذنوب بنهر جار ، يغتسل منه في اليوم والليلة خمس مرات ، فيقول عليه الصلاة والسلام : «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم ، يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟»

قالوا : لا يبقى من درنه شيء .

قال : «فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا» . رواه البخاري ومسلم .

وقد روى مسلم في صحيحه عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما من امرئ تخضره صلاة مكتوبة ، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها - إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ، ما لم تؤت كبيرة ، وذلك الدهر كله» .

وبالجملة فإن للصلاة من الفضائل ما لا يكاد يحصيه العادون ، لما فيها من الأسرار والإشراقات التي لا يعرفها إلا من كانت له بصيرة نافذة ، وروح صافية نقية .

ويكفي ما ذكرناه هنا من فضائلها ، وننتقل إلى بيان بعض أحكامها بوجه عام ، ونركز على ما يتعلق منها بالنساء على وجه الخصوص .



شروط صحة الصلاة

للصلاة شروط لا تصح إلا بها ، إذا سقط شرط منها كانت الصلاة باطلة وهي : الإسلام ، والعقل ، ودخول الوقت ، والطهارة من الحدث والخبث ، واستقبال القبلة ، وستر العورة ، وترك الكلام ، وترك الأفعال الكثيرة المنافية للصلاة .

وقد تكلمت عن هذه الشروط بالتفصيل في كتاب الفقه الواضح من الكتاب والسنة . وسأقتصر هنا على بعض ما تدعو إليه حاجة الأخوات المسلمات مما يتعلق بهذه الشروط .

* الثياب التي تصلى فيها المرأة

قلت - فيما سبق - : إن ستر العورة شرط من شروط صحة الصلاة ، والمرأة كلها عورة إلا وجهها وكفيها ، على تفصيل سيأتى فيما بعد ..

فإذا أرادت المرأة أن تصلى فعليها أن تلبس ثوباً فضفاضاً يغطي ظهور قدميها ، بحيث يكون سميكاً لا يشف عما تحته ، وتضع على رأسها خماراً يغطي شعرها ، ويتدلى على وجهها قرب حاجبيها ، ويغطي فتحة صدرها ، حتى ولو كانت تصلى فى حجرة مظلمة وليس معها أحد .

فعن أم سلمة أنها سألت النبي ﷺ : «أتصلى المرأة فى درع وخمار وعليها إزار؟» فقال : نعم إذا كان الدرع سابغاً يغطي ظهور قدميها» رواه أبو داود والحاكم .

والدرع : هو القميص ، والخمار : هو ما يسمى بالطرحة .

وروى الطبرانى فى الأوسط عن أبى قتادة أن النبي ﷺ قال : «لا يقبل الله من امرأة صلاة حتى توارى زينتها ، ولا من جارية بلغت المحيض حتى تختمر» .

والجارية : هى الفتاة التى بلغت المحيض أو قاربت البلوغ .

ويلاحظ أن بعض النساء لا يسدلن الخمر على وجوههن بالمقدار الذى يغطي شعر رءوسهن أو يتركنها تتساقط ، أو تردن إلى الخلف ، الأمر الذى يترتب عليه بطلان الصلاة .

لهذا نوصى كل فتاة مسلمة أن تحتاط لذلك فتثبت خمارها بشيء يمسك به حتى لا يتساقط أو يترد إلى الخلف عملاً بقوله تعالى : ﴿ وليضربن بخمرهن علي جيوبهن ﴾ . والضرب في الآية معناه : التمكن والتثبيت ، من قولهم : ضرب الخيمة ، يعنى ثبتها ومكنها في الأرض .

ونلاحظ أن بعض النساء لا يسدلن ثيابهن إلى ظهور أقدامهن ، وهذا أمر يترتب عليه بطلان الصلاة ، وأوصى كل مسلمة أن تتخذ لها ثوباً يشبه الملاء تلتف به عند الصلاة يكون أيسر لها من لبس الثوب وخلعه .

وقد رأيت بعض الأخوات يتخذن مثل هذه الملاء يرتدينها عند الصلاة وتسمى عندهن « بالشرشب » .

فإن لم يكن لك -أيها الأخت المسلمة -ثوب يستر ظهور قدميك فالبسي الجورب .

واعلمي أن الطاعة على قدر الطاقة ، وأن الثواب على قدر المشقة .

هذا ولو سقط الخمار من فوق رأس المرأة ثم أعادته عن قرب صحت صلاتها ولا تبطل بسقوطه ولا بالحركات التي تصدر منها في شدة وربطه .

*** هل تجب على المرأة صلاة الجمعة**

لا تجب على المرأة صلاة الجمعة عند جمهور الفقهاء ولكنها إذا أدتها مع الجماعة في المسجد صحت منها ، وسدت مسد صلاة الظهر ، وكان لها الأجر على خروجها إليها ، وسيأتى قريباً بيان حكم خروج النساء إلى المساجد .

*** هل يستحب للمرأة الخروج إلى صلاة العيد**

صلاة العيد سنة مؤكدة في حق الرجال والنساء على السواء .

بشرط ألا تكون المرأة في عدتها من وفاة زوجها ، وبشرط أن تخرج محتشمة ملتزمة آداب الإسلام ، لا فرق في ذلك بين الشابة والعجوز ، ولا بين الطاهر والحائض ، فإن الحائض يستحب لها أن تخرج وتجلس خلف صفوف النساء لتشهد الخير مع المسلمين ، وتؤمن على دعائهم كما يؤمنون .

فمن أم عطية - رضى الله عنها - قالت : «أمرنا أن نخرج العواتق^(١) والحيض في العيدين يشهدن الخير ودعوة المسلمين ، ويعتزل الحيض المصلى» . متفق عليه .

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ كان يخرج نساءه وبناته في العيدين» . رواه ابن ماجه والبيهقى .

وعن ابن عباس - أيضاً - قال : خرجت مع النبي ﷺ يوم فطر أو أضحي فصلى ثم خطب ، ثم أتى النساء فوعظهن وذكرهن وأمرهن بالصدقة» . رواه البخارى .

* خروج النساء إلى المساجد لتأدية الصلوات الخمس

قد عرفنا فيما سبق أن المرأة لو صلت الجمعة مع الرجال صحت صلاتها ، وسقط عنها فرض الظهر .

وعرفنا أن النبي ﷺ أمر بإخراجهن لصلاة العيدين ، وهذا يدل على جواز خروجهن إلى المساجد متى شئنا لحضور دروس العلم وتأدية الصلوات الخمس مع الجماعة خلف الرجال ، بشرط أن يخرجن محتشمات ثفلات لا تفوح منهن الروائح الطيبة ، وبشرط أن يلتزم الأديب في دخول المساجد والجلوس فيها والخروج منها ، ولا يتكلمن فيها إلا بخير ، وألا يصحبن معهن أطفالهن الصغار الذين لا يميزون بين الطهارة والنجاسة إلا لضرورة ، بحيث تحتاط المرأة بقدر إمكانها من خروج شيء من طفلها ينجس المسجد .

ولقد كانت النساء في عهد النبي ﷺ يخرجن إلى المساجد ويصلين خلف الرجال ، من غير تكبر ولا اعتراض .

فقد روى أبو داود في سننه عن أبي هريرة - رضى الله عنه - أن النبي ﷺ قال : «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ، وليخرجن ثفلات» ، أى غير متعطرات .

وروى أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - أن النبي ﷺ قال «لا تمنعوا النساء أن يخرجن إلى المساجد ، وبيوتهن خير لهن» .

وقد وردت أحاديث أخرى تفيد أن صلاة المرأة في بيتها أولى من صلاتها في المسجد الأقرب لها ، وصلاتها في المسجد الأقرب لها أفضل من صلاتها في المسجد البعيد .

(١) العواتق : جمع عاتق وهى التى قاربت البلوغ .

منها ما رواه أحمد في مسنده عن أم حميد الساعدية رضى الله عنها أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إني أحب الصلاة معك ، فقال ﷺ : «قد علمت ، وصلاتك في حجرتك خير لك من صلاتك في مسجد قومك ، وصلاتك في مسجد قومك خير لك من صلاتك في مسجد الجماعة» .

لكن هذا محمول على أنها تجدد في بيتها من يعلمها أمور دينها ، أما إذا لم تجدد من يعلمها أمور دينها فإنها يستحب لها أن تخرج إلى المسجد الذى تجدد فيه من يعلمها ، ويعظها ويذكرها بالله عز وجل ، مع مراعاة الشروط التى ذكرناها .

وعليها أن تستأذن زوجها فى ذلك ، ويستحب له أن يأذن لها لما فى ذلك من المنفعة التى تعود عليه وعليها فى العاجل والآجل .

وبشرط ألا يترتب على خروجها ضرر يعود عليها أو على زوجها أو ولدٍ من أولادها .

* كيف تسجد الحامل

إذا كانت المرأة فى الشهور الأخيرة من الحمل ، ولا تستطيع أن تسجد على الأرض فلتسجد بالإيماء ، بأن تجعل سجودها أخفض من ركوعها ، ولا تسجد على شئ مرتفع عن الأرض أكثر من شبر ، ولا على مخدة ، فإن جبهتها لا تستقر عليها بل تغوص فيها ، فليست هى كالأرض لعدم صلابتها ، والله أعلم .

* هل تجهر المرأة بالقراءة فى الصلاة ؟

يستحب للمرأة أن تجهر فى الصلاة الجهرية لكن بقدر أن تسمع نفسها ومن يليها ، بخلاف الرجل فإن له أن يرفع صوته أكثر من ذلك .

والصلاة الجهرية هى صلاة الصبح والركعتان الأولى والثانية من صلاة المغرب والعشاء ، وصلاة الجمعة ، وهى خاصة بالإمام .

* هل تجوز إمامة المرأة

وقد سألتنى أخت فاضلة عن امرأة صلت إماماً بنساء مثلاً ، هل تصح صلاتها وصلاة من خلفها ؟ فقلت : نعم تصح صلاتها وصلاة من خلفها عند الشافعية بشرط أن تقف وسطهن .

فقد جاء فى الصحيح أن عائشة - رضى الله عنها - كانت تؤم النساء وتقف معهن

فى الصف ، وكانت أم سلمة تفعله ، وجعل رسول الله ﷺ لأم ورقة مؤذناً لها ، وأمرها أن تؤم أهل دارها فى الفرائض .

ولا يجوز للمرأة أن تؤم الرجال بإجماع أهل العلم ، فإن صلت بهم إماماً بطلت صلاتها وصلاتهم .

ويجوز للرجل أن يؤم النساء فقط عند جمهور الفقهاء ، فقد روى أبو يعلى والطبرانى فى الأوسط بسند حسن أن أبى بن كعب جاء إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله عملت الليلة عملاً قال : «ماهو» ؟ قال : نسوة معى فى الدار قلن إنك تقرأ ولا نقرأ فصل بنا ، فصليت ثمانياً والوتر ، فسكت النبى ﷺ ، قال : فرأينا سكوته رضاً .

* وقوف المرأة خلف الإمام

إذا صلت المرأة مع رجل أو أكثر وقفت خلفهم ، فإن وقفت مساوية للرجل كره ذلك ، ولا تبطل صلاتها ولا صلاته على المشهور من أقوال الفقهاء .

قال أنس : «صليت أنا ویتیم فى بیتنا خلف النبى ﷺ ، وأمى أم سليم خلفنا» . رواه البخارى ومسلم .

* من نابها شىء فى الصلاة ماذا تفعل ؟

إذا كنت - أيتها الأخت المسلمة - فى صلاتك ونادى عليك مناد ، أو طرق بابك طارق ، أو رأيت أعمى يكاد يخطئ الطريق ، أو يقع فى حفرة ، أو يدوس على شىء فيتلفه ، أو نحو ذلك فصفقى بيديك ، وذلك بأن تضربى ظهر يدك اليمنى بباطن اليسرى ، أو تضربى ظاهر اليسرى بباطن اليمنى ، ولا تقولى : سبحان الله مثل الرجال فالتسبيح لهم والتصفيق لكن :

هذا ما جاء فى السنة واتفق عليه جمهور الفقهاء - إلا قليلاً منهم .

روى البخارى ومسلم وأبو داود وأحمد وغيرهم عن سهل بن سعد الساعدى أن النبى ﷺ قال : «من نابها شىء فى صلاته فليقل : سبحان الله ، إنما التصفيق للنساء ، والتسبيح للرجال» .

وروى البخارى أيضاً وأبو داود عن سهل بن سعد : أن النبى ﷺ قال : «إذا نابكم شىء فى الصلاة فليسبح الرجال ، وليصفق النساء» .

والذين قالوا : إن التسبيح جائز للرجال والنساء - فريق من فقهاء المالكية ، وهو قول يرده الحديث المتقدم ، فهو صريح في التفرقة بينهما .

قال القرطبي : القول بمشروعية التصفيق للنساء هو الصحيح خيراً ونظراً ، لأنها مأمورة بخفض صوتها في الصلاة مطلقاً ، لما يخشى من الافتتان بصوتها .

ومنع الرجال من التصفيق لأنه من شأن النساء .

أقول : ولأن الشأن في المرأة دائماً الاستتار والاحتجاب من أعين الرجال وأسماعهم ، فلا ينبغي أن يظهر منها ما يدعو إلى الفتنة .

* صلاة النساء على الجنائز

سألتني أخت فاضلة : هل يجوز للنساء حضور الجنائز والصلاة على الموتى ؟ وماذا تفعل لو لم يكن هناك رجال يصلون على الميت ؟ هل يجوز لها أن تصلى عليه وحدها أو تؤم النساء فيها ؟ وهل لها من الأجر لو صلت عليها مثل ما للرجال ؟

والجواب : نعم يجوز للنساء حضور الجنائز مع الرجال بشرط أن يكن ، بمعزل عنهم ، وأن يكن مستترات محتشمات ، لا يرفعن أصواتهن بالكلام ، ولا يلطمن الخدود ، ولا يفعلن ما تفعله النساء الجاهلات .

ويجوز لهن أن يصلين على الموتى مع الرجال بشرط أن يقفن خلفهم .

فقد روى الطبراني في الكبير بسند حسن أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انتظر أم عبد الله حتى صلت على عتبة .

وقد ثبت في السنة أن النبي ﷺ قال «مما سأله قبل موته عن كيفية صلاتهم عليه إذا هو لقي ربه عز وجل - قال : «إذا غسلتموني ووضعتوني على سريري في بيتي هذا ، على شفير قبري فاخرجوا عني ساعة ، فإن أول من يصلى على خليلي وجليسي جبريل ، ثم ميكائيل ، ثم إسرافيل ، ثم ملك الموت مع جنوده ، ثم الملائكة عليهم السلام ، وليبدأ الصلاة على رجال أهل بيتي ثم نساؤهم ، ثم ادخلوا على أفواجاً أفواجاً ، وفردى فردى ، فصلوا على ولا تؤذوني بياكية ، ولا صارخة ، ولا رانة ، ولا بضجة ، ومن كان غائباً من أصحابي فأبلغوه عني السلام»^(١) .

(١) الحديث أخرجه البيهقي والبخاري من عدة طرق بسند رجاله موثقون .

وإذا حضرن للصلاة ولم يكن معهن رجل جاز لهن أن يصلين جماعة تأمهن امرأة منهن ، وتقف وسطهن ، ويستحب أن تكون أكثرهن علماً وأحسنهن خلقاً .
وقيل يصلين على الميت فرادى ، وهو الأصح عند أكثر أهل العلم ، ولم يقل بإمامة المرأة لمثلها إلا الشافعى .

أما الأجر على صلاة الجنائز فهو كأجر الرجال هو لعموم قوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٩٧) . [النحل : ٩٧]

* الصلاة على السقط

وسألتنى امرأة أسقطت جنيناً فى الشهر الرابع هل تصلى عليه أم لا ؟
قلت : اتفق الفقهاء على أن الجنين إذا نزل من بطن أمه قبل أربعة أشهر لا يصلى عليه ؛ لأنه لم تنفخ فيه الروح ، ولا يغسل ، ويلف فى خرقة ويدفن فى أى مكان .
واتفقوا - أيضاً - على أنه لو نزل السقط حياً ولو إلى دقائق غسل وكفن وصلى عليه ، بل قال الشافعية ، لو ظهر منه ما يدل على حياته كأن تحرك أو تنفس غسل وكفن وصلى عليه ؛ لحديث جابر بن عبد الله - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال : «إذا استهل^(١) الصبى صلى عليه وورث وورث» . أخرجه النسائى وابن ماجه والبيهقى .

واختلفوا فى السقط الذى نزل بعد أربعة أشهر ، وهى المدة التى تنفخ فيها الروح .
فقال بعضهم : يغسل ويصلى عليه ، وقال بعضهم : لا يغسل ولا يصلى عليه .
والأصح أنه يغسل ويصلى عليه .
لعموم قوله ﷺ : «والسقط يصلى عليه ويدعى لوالديه بالمغفرة والرحمة» . أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم وصححه .

وبعد : فهذه بعض الأحكام التى تخص المرأة فى هذا الباب ، فإن أردت المزيد فعليك بدراسة كتب الفقه وهى كثيرة ، منها «فقه السنة» للشيخ سيد سابق ، و«الفقه الواضح من الكتاب والسنة» للمؤلف .

(١) استهل : نزل صارخاً أو سمع له صوت أو وجد منه ما يدل على حياته .